الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار محيسن

للطباعة والنشر والتوزيع

٤٢ طريق النصر (الأوتوستراد)
وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢
مدينة نصر - القاهرة - ت : ٢٦٢١٤١٢ (٢٠٢)
المطابع : مدينة العبور - المجمع الصناعي - وحدة ٢٠٥

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٨٦٦٣

الترقيم الدولي : 977- 60-76-05-X

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، والصلاة والسلام على نبينا «محمد» المبعوث رحمة للعالمين. .

وبعد: فقد اقتضت إرادة الله تعالى أن جعل فى مقدمة دعوة الأنبياء الدعوة إلى وحدانية الله تعالى، وصدق الله حيث قال: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦].

والبشرية كلها وبخاصة: العلماء، والدعاة، والمرشدين، والمصلحين فى أمسّ الحاجة إلى معرفة المنهج الذى سار عليه الأنبياء أثناء معالجتهم لقضية الشرك، ودعوتهم إلى وحدانية الله تعالى وعبادته وحده دون غيره. لذلك فقد رأيت أن أضع كتابًا أبيّن فيه المنهج القويم الذى سار عليه «الأنبياء أولو العزم» فى دعوتهم إلى وحدانية الله تعالى وسميته:

منهج الأنبياء فى الدعوة إلى الله

فى ضوء الكتاب والسنّة

واعتمدت فى المادة العلمية لهذا الكتاب على نصوص القرآن الكريم، وسنّة الهادى البشير ﷺ.

وهدفى من وراء ذلك التأسى بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام والسير على المنهج الذى ساروا عليه، لأنه المنهج الذى هداهم إليه الله ربّ العالمين. وصدق الله حيث قال:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) ﴾ [النساء: ١٦٣ - ١٦٥].

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلّ اللهمّ على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

أ.د/ محمد محمد محمد سالم محيسن

غفر الله له ولوالديه وذريته والمسلمين

الاثنين ٩ ذو الحجة ١٤٠٧هـ

٣ أغسطس ١٩٨٧م

تمهيد

ضمنت هذا التمهيد عدة موضوعات هامة لها صلة وثيقة بمضمون هذا الكتاب، وتتمثل فيما يلي:

أ) تعريف الإسلام.

ب) أهم صفات المسلم.

ج) تعريف الإيمان.

د) أهم صفات المؤمنين.

هـ) مَنْ هم الأنبياء والرسل؟

و) الفرق بين النبي والرسول.

ز) عدد الأنبياء والرسل.

ح) أولو العزم من الرسل.

ط) عصمة الأنبياء.

ى) خصائص النبوة.

ك) وظيفة النبوّة.

ل) معجزات الأنبياء.

م) الأنبياء قدوة للبشر.

وهذا تفصيل الكلام على هذه القضايا حسب ترتيبها:

أ) تعريف الإسلام

الإسلام لغة : الاستسلام والانقياد الظاهرى.

وشرعًا : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، والدليل على ذلك الحديث التالى:

فعن عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما - قال:

قال رسول الله ﷺ : «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحجّ، وصوم رمضان» اهـ(١).

ب) أهم صفات المسلم

جاء ديننا الإسلام الحنيف بالمبادئ السامية، والأخلاق الحميدة، فما من فضيلة إلا ونبه عليها، وحث على العمل بها، وما من رذيلة إلا وأشار إليها، وحذر من الاقتراب منها، وتعاليم الإسلام كثيرة ومتعددة، وعلى المسلم الذى أكرمه الله تعالى بالإسلام أن يلزم نفسه بتعاليمه، كما عليه وجوب التمسك بها، والعمل بما جاء فيها. ونبينا «محمد» ﷺ ذكر الكثير من الصفات الفاضلة التي يجب على كل مسلم أن يتحلى بها.

وقد طوفت في بستان النبوة، واقتطفت منه بعض الأحاديث التى تبين صفات المسلم، كما تبين ما على المسلم من حقوق وواجبات نحو أخيه المسلم:

فعن عبد الله بن عمرو -رضى الله عنهما- أن النبى ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» اهـ(٢).

وعنه - رضى الله عنه - أن رجلاً سأل النبى ﷺ : أىّ الإسلام خير؟

قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(٣).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى ﷺ قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» اهـ(٤).

(١) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، انظر: التاج جـ١ ص ٢٤.
(٢، ٣) رواه البخارى، ومسلم، وغيرهما انظر: التاج جـ١ ص ٢٧.
(٤) رواه الترمذى، انظر: التاج جـ١ ص ٢٨.

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة» اهـ(١).

وعن ابن عمر –رضى الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لايظلمه، ولا يُسلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» اهـ(٢).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ : «المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، وماله، ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» اهـ(٣).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: ردّ السلام، وعيادة المريض، واتّباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» اهـ(٤).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه» اهـ(٥).

ج) تعريف الإيمان

الإيمان لغة: التصديق بالقلب.

وشرعاً: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، والدليل على ذلك الحديث التالى:

فعن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر،

(١) رواه مسلم، انظر: رياض الصالحين جـ١ ص ١٢٥ .
(٢) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين جـ١ ص ١٢٢ .
(٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن انظر: رياض الصالحين جـ١ ص ١٢٢ .
(٤) متفق عليه، وقال الترمذى: حديث حسن انظر: رياض الصالحين جـ١ ص ١٢٣ .
(٥) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى وابن ماجه، انظر: الترغيب جـ٣ ص ٤١١ .

ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفّيه على فخذيه، وقال: يا «محمد» أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن «محمداً» رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة، رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»، قال: ثم انطلق، فلبثت مليّاً(١).

ثم قال لي: «يا عمر أتدري من السائل»؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «فإنه «جبريل» أتاكم يعلمكم دينكم» اهـ(٢).

د) أهم صفات المؤمن

كما أن نبينا «محمداً» ﷺ ذكر الكثير من الصفات التي يجب على المسلم أن يتمسك بها، ويعمل بها، كذلك نبه على الصفات التي يجب على المؤمن التحلي بها، والعمل بها، وهذا قبس من هديه - عليه الصلاة والسلام - في بيان صفات المؤمن:

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» اهـ(٣).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» اهـ(٤).

(١) أي زمناً طويلاً.
(٢) رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما انظر: التاج جـ١ ص ٢٤.
(٣) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، انظر: التاج جـ١ ص ٢٦.
(٤) رواه البخاري، ومسلم، وغيرهما انظر: التاج جـ١ ص ٢٧.

وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن الرسول ﷺ قال: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله تعالى، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار» اهـ(١).

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال:

«أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وخياركم خياركم لنسائهم»(٢).

وعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – أن النبى ﷺ قال: «إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ (التوبة:١٨) اهـ(٣).

وعن أبى موسى الأشعرىّ – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضًا، وشبّك بين أصابعه» اهـ(٤).

وعن النعمان بن بشير – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمنين فى توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» اهـ(٥).

وعن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه» اهـ(٦).

هـ) من هم الأنبياء والرسل

الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – : هم أشخاص من بنى آدم اصطفاهم الله تعالى، واختصهم بحمل رسالة السماء لهداية البشرية وفقًا لمنهج سوىّ اختاره الله لكل واحد

(١) رواه البخارى، ومسلم، وغيرهما انظر: التاج جـ١ ص ٢٦.
(٢) رواه أبو داود، والترمذى، انظر: التاج جـ١ ص ٢٨.
(٣) رواه الترمذى، انظر: التاج جـ١ ص ٢٨.
(٤) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين ص ١١٩.
(٥) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين ص ١٢٠.
(٦) متفق عليه، انظر: رياض الصالحين ص ١٢٣.

منهم، وهذا المنهج الذي يكلف النبي والرسول بتبليغه من اتبعه فاز بسعادة الدنيا والآخرة، ومن حاد عنه خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وصدق الله حيث قال:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:٢١٣].

وهؤلاء الأنبياء والرسل يتلقون تعاليم الله تعالى بواسطة الملك المكلف بذلك، وهو المسمَّى بالوحى وصدق الله حيث قال:

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى: ٥١].

و) الفرق بين النبى والرسول

فإن قيل: هل هناك فرق بين النبيّ والرسول؟

أقول: نعم، فإذا كان المنهج الذى يكلف به «النبى» خاصًا به، بمعنى أنه أمر من قبل الله تعالى بأن يعمل بهذا المنهج وحده دون أن يؤمر من قبل الله أيضا بتبليغ هذا المنهج إلى من سواه من بنى قومه.

إذا كان الأمر كذلك فالموصوف بهذه الحالة يسمّى نبيًا فقط، وبناء على ما تقدم يمكننى أن أقول: النبيّ هو الذى يوحى إليه بمنهج خاص ليعمل هو به دون أن يُكلّف بتبليغه إلى غيره.

أمّا إذا كان المنهج الموحَى به إلى النبيّ مقرونًا بطلب تبليغه إلى قومه؛ فالموصوف بهذه الحالة يسمّى نبيًا رسولاً.

وبناء على ما تقدم أقول: النبى الرسول: هو الذى يوحى إليه بمنهج خاص ليعمل هو به وليبلغه إلى من بعثه الله فيهم، وحينئذ تكون رسالته رسالة خاصة.

من هذا يتبين أن كل رسول نبيّ، وليس كل نبيّ رسولا. والرسالة الخاصة جاء بها جميع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - عدا نبينا «محمد» ﷺ إذ رسالته عامة. يوضح ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣].

ونبينا «محمد» ﷺ رسالته عامة لأنه أمر بتبليغها إلى كافة الخلق، يؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨]

كما أنه - عليه الصلاة والسلام - هو خاتم النبيين والمرسلين فلا نبى بعده، ورسالته باقية مادامت السماوات والأرض، يؤيد ذلك قول الله تعالى:

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [الأحزاب:٤٠].

ز) عدد الانبياء والرسل

فإذا قيل: نريد بيان عدد الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام -. أقول: اقتضت إرادة الله تعالى منذ أن هبط «آدم» - عليه السلام - إلى الأرض أن يرسل من حين إلى آخر الأنبياء والرسل ليبلغوا رسالة الله تعالى، وينشروا العدل بين الناس. والذى يفهم من مدلول «القرآن» أن عدد الأنبياء والرسل كثير، إلاّ أن بعضهم لم يرد له ذكر فى «القرآن» كما قال تعالى:

﴿ وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾ [النساء:١٦٤].

أما الأنبياء والرسل الذين ورد ذكرهم فى «القرآن» فعددهم خمسة وعشرون، وهم: آدم - إدريس - نوح - هود - صالح - إبراهيم - لوط - إسماعيل - إسحاق - يعقوب - يوسف - شعيب - أيوب - ذو الكفل - موسى - هارون - داود - سليمان - إلياس - اليسع - يونس - زكريا - يحيى - عيسى - محمد - عليهم الصلاة والسلام جميعًا.

وقد نظم هؤلاء الأنبياء والرسل بعض العلماء فقال:

فى تلك حجتنا[١] منهم ثمانيـــة ... من بعد عشرة ويبقى سبعة وهـــم

إدريـس هـود شعيـب صالح وكـذا ... ذو الكفـل آدم بالمختـار قد ختموا

والأنبياء والرسل الخمسة والعشرون يجب الإيمان بهم تفصيلا أما من عداهم فيجب الإيمان بهم إجمالا، يؤيد ذلك قول الله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة:٢٨٥].

ح) أولو العزم من الرسل

فإن قيل: من هم الرسل الموصوفون بأولى العزم؟

أقول: هؤلاء الرسل هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - ، وهم المشار إليهم بقول الله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥].

ولعل السبب فى وصفهم بأولى العزم: لأن عزائمهم كانت قوية، وابتلاءهم كان شديداً، وجهادهم كان شاقا.

حقا لقد جاهد هؤلاء الأنبياء جهاداً مريراً، وصبروا وصابروا فى سبيل تبليغ الرسالة التى كلفهم الله بها وسيتجلى لنا كفاحهم، وجهادهم، أثناء الحديث عنهم مفصلا بإذن الله تعالى.

هذا ونبينا «محمد» ﷺ أكثر الأنبياء على الإطلاق جهاداً، وصبراً، وتضحية - صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) نص الآيات : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام:٨٣-٨٦].

ط) عصمة الأنبياء

اقتضت حكمة الله تعالى أن جعل أنبياءه أكمل البشر خَلْقا وخُلُقا، وأفضلهم علما، وأصدقهم قولا، وأشدّهم فطنة، وأشرفهم نسباً، اقرأ قول الله تعالى فى الثناء على نبينا «محمد» ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

وقوله فى الثناء على بعض الأنبياء:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

والأنبياء جميعاً أحاطهم الله برعايته، وشملهم بعنايته يشير إلى ذلك قول الله تعالى فى شأن نبينا «محمد» ﷺ: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور:٤٨].

وقوله تعالى فى شأن «موسى» – عليه السلام:

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه:٣٩].

فالله – سبحانه وتعالى – عصمهم من الوقوع فى الخطأ فى تبليغ رسالاتهم وحفظهم من الوقوع فى كل ما يخالف أوامر الله تعالى، فهم الهداة الذين أمرنا الله بالاقتداء بهم، فقال تعالى فى شأن نبينا «محمد» ﷺ:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقال تعالى فى شأن بعض الأنبياء:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠].

والأنبياء جميعاً كانوا فى نهاية الطاعة لأوامر الله تعالى، يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء:٧٣].

وإذا تتبعنا آيات القرآن نجدها تسبغ على الأنبياء جميعا أكمل الصفات، وأسمى النعوت، فصلى الله عليهم أجمعين.

ى) خصائص النبوة

النبوة منزلة رفيعة، ودرجة من أسمى درجات القرب من الله تعالى، وفضل إلهىّ يؤتيها الله من يشاء من عباده، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [الحج:٧٥].

والدعوة التى يقوم بها الأنبياء ليست صادرة عن ذكائهم، أو فطنتهم، أو شعورهم المرهف الحسّاس. إنما المصدر الحقيقى لما يقومون به من وسائل الإصلاح والدعوة إلى العدل والإحسان...إلخ هو الوحى الإلهى والرسالة التى يقومون بتبليغها عن الله تعالى، لهذا لا ينبغى أن نقيس الأنبياء بالحكماء، أو الزعماء، أو المصلحين، أو العباقرة...إلخ، فهؤلاء جميعاً إنما يتلقون كل شيء عن العقل المحض والعقل معرض للخطأ، والتقصير بلا شك. أمّا الأنبياء فهم معصومون من الخطأ؛ لأنهم يتلقون تعاليم الرسالة عن وحى السماء، يدل على ذلك قول الله تعالى:

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ [النحل:٢].

ك) وظيفة النبوة

الأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام مكلفون بتبليغ تعاليم الرسالة التى يوحى الله بها إليهم، والتعاليم كثيرة ومتعددة، ولعل كل رسالة انفردت بمعالجة الأخطاء التى كانت شائعة بين القوم الذين بعث فيهم صاحب الرسالة، ومما لا جدال فيه أن جميع الديانات السماوية اتفقت على الكثير من القضايا الرئيسية العامة، وحسبى أن أشير هنا إلى بعضها مثل:

أ) الدعوة إلى وحدانية الله تعالى، بمعنى أنه لا ينبغى أن يكون هناك شريك مع الله تعالى: إذ الشركة تقتضى عدم القدرة، والله - سبحانه وتعالى - من صفاته أنه قادر على كل شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء.

كما أن الشركة تقتضى الخلاف فى الرأى، وفساد الكون والعالم كله يشاهد مخلوقات الله تعالى على ما هى عليه منذ آلاف السنين، دون أن يطرأ عليها أىّ فساد، أو اضطراب.

ب) الإيمان باليوم الآخر، وما فيه من عقاب وجزاء...إلخ.

ج) إرشاد الناس إلى الفضائل التى فيها سعادتهم فى الدارين، ونهيهم عن الرذائل التى فيها شقاؤهم.

ومن أراد تفاصيل ذلك فعليه بالرجوع إلى المصادر الموثوق بها، وأختم ذلك بقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣].

ل) معجزات الأنبياء

المعجزة: هى الأمر الخارق للعادة يجريه الله تعالى على يد نبىٍّ مرسل؛ ليقيم به الدليل على صدق نبوته، ويجب على كل مؤمن أن يعتقد بأن الله تعالى قد أيّد أنبياءه وأمدهم من عنايته الإلهية بالمؤيدات التى لم تعهدها العقول من قبل ليثبتوا بها للناس صدقهم فيما يدعون إليه، وأنهم مرسلون من عند الله تعالى.

والمعجزة لا تأتى عن طريق ممارسة العلوم، أو مزاولة أسباب يمكن تعاطيها كما هو الحال فى السحر وغيره، مما له أسباب وقواعد يمكن تعلمها، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون معجزة كل رسول موافقة لما هو شائع بين القوم المرسل إليهم؛ ليكون ذلك أبلغ فى تأييد الرسول، وأقوى فى التحدى والإلزام.

ومعجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - متعددة ومتنوعة: فمنها ما هو معجزة كونية كانفجار الماء من الحجر حينما ضربه «موسى» - عليه السلام - بعصاه حين طلب منه قومه السقيا، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة:٦٠].

ومنها: ما هو مخالف للقوانين الطبيعية، مثل النار التى أراد قوم «إبراهيم» - عليه السلام - إحراقه بها، فكانت عليه برداً وسلاماً بأمر الله تعالى، يؤيد ذلك قول الله تعالى:

﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٨-٦٩].

ومنها ما هو إخبار بالمغيبات، مثل إنباء «عيسى» - عليه السلام - قومه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم، يؤيد ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

[آل عمران:٤٩]

وظلت معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - على هذا النمط حتى جاء خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا «محمد» ﷺ فأيده الله بالمعجزة العقلية الخالدة التى تتفق مع عموم رسالته وخلودها، ألا وهى «القرآن الكريم» المعجز بأسلوبه، وبلاغة ألفاظه، وبما يحتويه من إخبار عن المغيبات إلى غير ذلك من سائر أنواع الإعجاز، التى تحدث عنها العلماء، وأفردوا لها مصنفات خاصة، وصدق الله حيث قال فى مقام إعجاز القرآن:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤].

م) الأنبياء قدوة للبشر

جميع الرسالات التى جاء بها كل نبىّ من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانت لمصلحة البشرية؛ إذ فيها سعادتهم فى الدنيا والآخرة ولولا إرسال الرسل لعمّ الفساد الأرض.

يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥].

لما تقدم وجب على كل أمة أرسل الله فيهم رسولا الاقتداء برسولهم عملا بقول الله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

أنتقل بعد ذلك إلى الحديث عن مباحث هذا الكتاب فأقول وبالله التوفيق:

الفصل الأول : دعوة نبيّ الله «نوح» - عليه السلام -

وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الشرك الذى واجهه «نوح» -عليه السلام- وإبطاله له:

سيكون حديثى بإذن الله تعالى فى هذا المبحث عن عدد من القضايا الهامة التى لها صلة وثيقة بموضوع البحث مثل:

أ) نسب نبيّ الله «نوح» - عليه السلام.

ب) نشأة «نوح».

ج) اصطفاء الله لـ «نوح».

د) الله - سبحانه وتعالى - يكرّم «نوحًا» بالهداية والرشاد.

هـ) نوع الشرك الذى واجهه «نوح» - عليه السلام.

و) «نوح» يدعو قومه إلى ترك عبادة الأصنام ويأمرهم بعبادة الرحمن.

المبحث الثانى : عرض نبيّ الله «نوح» للتوحيد، ودعوته إليه:

وسأتناول فى هذا المبحث القضايا الآتية لصلتها الوثيقة بموضوع البحث:

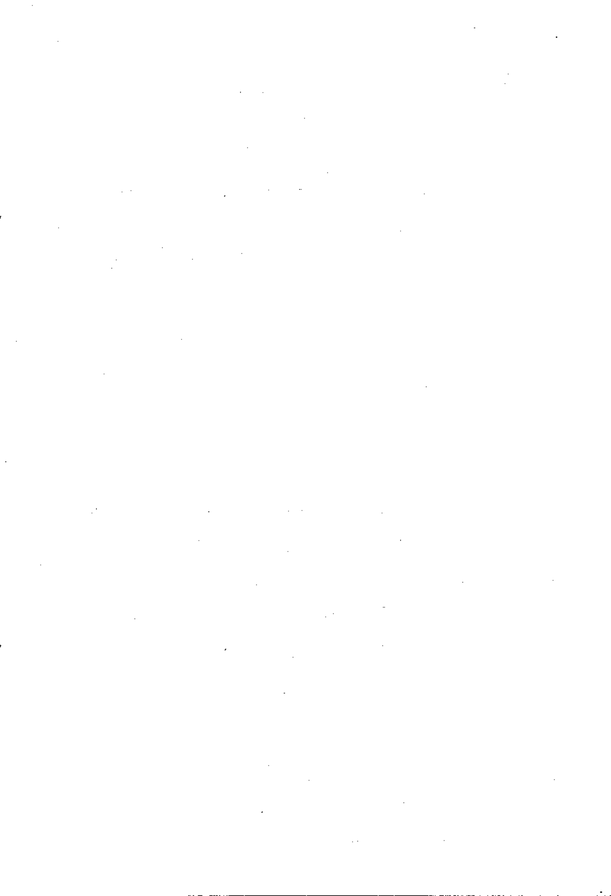
أ) «نوح» يدعو قومه إلى عبادة الله وحده.

ب) «نوح» يدعو قومه للتفكر فى مخلوقات الله تعالى.

ج) الله - سبحانه وتعالى - يأمر «نوحًا» بإعداد سفينة النجاة.

د) نجاة «نوح» ، وهلاك الكافرين.

وهذا تفصيل الكلام على هذه القضايا حسب ترتيبها :



منهج الأنبياء

في الدعوة إلى الله

تأليف الأستاذ الدكتور

محمد سالم محيسن

متخصص في القراءات وعلوم القرآن

عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف

دكتوراه في الآداب العربية

دار محيسن

للطباعة والنشر والتوزيع

ومما هو جدير بالذكر أن نبىّ الله «نوح» - عليه السلام- يعتبر أول رسول بعث إلى أهل الأرض بعد كل من «آدم» و«إدريس» -عليهما السلام- كما ثبت فى الصحيحين:

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – عن النبى ﷺ فى حديث الشفاعة قال:

«فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا، فيقول: ربى غضب غضبًا شديداً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، ونهانى عن الشجرة فعصيت، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى «نوح» فيأتون نوحًا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبداً شكوراً» الحديث[١].

ج) اصطفاء الله تعالى له «نوح» - عليه السلام

اقتضت إرادة الله تعالى أن فضل بعض المخلوقات على بعض: ففضل بعض الأيام على بعض، مثل يوم الجمعة، ويوم عرفة، وعشر ذى الحجة:

فمما جاء فى فضل يوم الجمعة الحديث التالى:

فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها» اهـ[٢].

ومما جاء فى فضل يوم عرفة الحديث التالى:

فعن أبى قتادة – رضى الله عنه – قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة قال: «يكفر السنة الماضية والباقية» اهـ[٣].

ومما جاء فى فضل العشر الأوائل من ذى الحجة الحديث التالى:

فعن ابن عباس – رضى الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحبّ إلى الله من هذه الأيّام».

يعنى: أيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه، وماله فلم يرجع من ذلك بشىء» اهـ[٤].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ١ ص ١٠٦ .
(٢) رواه مسلم انظر : رياض الصالحين ص ٤٥٨ .
(٣) رواه مسلم انظر : رياض الصالحين ص ٤٨٧ .
(٤) رواه البخارى انظر : رياض الصالحين ص ٤٨٧ .

كما فضل بعض الشهور على بعض مثل شهر رمضان، ومما جاء في فضل هذا الشهر الحديث التالي: فعن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال:

«يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، فمن أدّى فريضة فيه كان كمن أدّى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه، من فطّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء»، قالوا: يا رسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال رسول الله ﷺ : «يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على تمرة، أو على شربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، من خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار، واستكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غناء بكم عنهما: فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم: فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه. وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما: فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقا صائماً سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة» اهـ[1].

كما اقتضت إرادته - عز وجل - تفضيل بعض الرسل على بعض، يؤيد ذلك قول الله تعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة:٢٥٣].

ونبي الله «نوح» -عليه السلام- من الذين اصطفاهم الله تعالى وفضلهم على كثير من خلقه تفضيلا، يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

(١) رواه ابن خزيمة، انظر: الترغيب والترهيب جـ٢ ص ١٤٢.